

أسنة التربية كوجه للعلاقات الدولية في الإسلام

الدكتور حمدي سلمان معمر

قسم أصول التربية المساعد

جامعة الأقصى

غزة - فلسطين

المخلص

تقاربت المسافات، واجتازت الحدود الجغرافية والسياسية في قرية الكرة الأرضية، وتضاعف عدد سكان الأرض، وازدادت فئات غنى وأخرى فقراً، وأخذت بؤر صراع وتوتر واشتعلت أخرى. ومع ذلك فالجميع أغنياء وفقراء، ظالمون ومظلومون، متدينون وعلمايون، شماليون وجنوبيون، شريقيون وغربيون... الجميع مضطرب لأن يعيش على هذا الكوكب. فهل من إمكانية لهذا التعايش؟! وما الموجهات التي ينبغي أن تحكم العلاقة بين بني البشر، وأين مكان التربية من ذلك؟ وهل للإسلام في ذلك رأي وتوجيه؟

هدف هذا البحث إلى تقديم تصور الإسلام للآخر -حسب فهم الباحث- وكيفية العلاقة به. وذلك بغرض المساهمة في الحفاظ على هوية الأمة، وتوجيه العلاقة مع الآخر، والمشاركة الحضارية في بناء علاقات دولية خيرة.

وقد استخدم البحث المنهج الفلسفي التحليلي، وتوصل إلى أن رؤية الإسلام للآخر تتسم بالإيجابية والاحترام، ويوجه الإسلام إلى علاقات دولية تقوم على العدل والإحسان والتعاون.

تمهيد

1 - مقدمة:

يسير العالم بفعل التكنولوجيا وثورة الاتصالات والمواصلات نحو إلغاء الحواجز، والحدود الجغرافية والسياسية، مما يقتضي وجود ثقافة عالمية جديدة، تفي بمتطلبات التقارب بين بني البشر وحاجاته، وتسهم في إقامة علاقات "حسن الجوار" في قرية الكرة الأرضية، بما يحقق استقرار البشرية وأمنها ورخائها.

ولما كان الإسلام خاتم الديانات السماوية، وهو ليس ديناً عنصرياً أو قومياً، فقد اشتمل من القواعد والتوجيهات، ما يمكن عدّه أتمودجاً حضارياً رائعاً في التأسيس لعلاقات دولية، تقوم على اعتبار إنسانية الإنسان، وليس على اعتبار لون الإنسان، أو جنسه أو وطنه أو دينه أو مستواه الاجتماعي أو الاقتصادي: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:13].

2 - مشكلة البحث:

سادت البشرية أماط من العلاقات الدولية، اتسمت بثنائيات أوجت مشاعر العداء والكراهية، وأسهمت في تأخر البشرية وشقائها، وقد كانت عقدة التفوق (بأنواعه) هي الوقود لكل هذه الثنائيات، وقد تجسدت هذه الثنائيات في: "سادة-عبيد"، "بيض-ملونين"، "غرب-شرق"، "شعب مختار-جوييم"، "إمبراطوريات وأمم متقدمة-شعوب خرفة ومتخلفة"، "المجتمع الدولي-الدول المارقة"... وغيره. لذا فقد كان الحصاد مأساوياً! يقول (برجنسكي) مستشار الأمن القومي للرئيس الأمريكي جيمي كارتر في كتابه (خارج حدود السيطرة): لقد بلغت حروب القرن العشرين (30) حرباً إقليمية مهمة وحربين عالميتين، وأوقعت من الضحايا (170) مليون إنسان. ويرجع سبب ذلك إلى التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل، وامتلاك البشرية لأرقى أنواع الأسلحة وأكثرها فتكاً، وكذلك الفراغ الروحي وتدني المستوي الأخلاقي، مما جعل سياسة القرن العشرين "سياسة الجنون المنظم".¹

¹ مختار محمد : قراءة في كتاب خارج حدود السيطرة (قضايا دولية، عدد: 223، إبريل 1994، إسلام اباد - باكستان) ص26-27.

وهذا يستوجب على جميع المفكرين والباحثين، العمل على صياغة وترسيخ مفاهيم وقيم جديدة تُجَنَّب العالم هذه الويلات. وإثراء للنقاش الدائر في هذا الشأن فإن هذا البحث يحاول الإجابة عن هذه الأسئلة:

1. ما مفهوم "أنسنة التربية" والتربية الإنسانية؟
2. ما مفهوم العلاقات الدولية وما العوامل التي تحددتها؟
3. ما موقف الإسلام من الآخر (غير المسلم)؟
4. كيف يُستفاد من توجهات الإسلام في إقامة علاقات دولية بناءً؟
5. ما المؤثرات في فهم مسلمي اليوم وتعاملهم مع الآخر ؟

3- أهداف البحث:

هدف هذا البحث إلى تقديم تصور نظري -مستمد من الإسلام- لنمط من العلاقات الدولية، يقوم على فكرة "أخوة الجنس البشري"، والعدل، وتبادل المصالح، وتوجيه الإسلام في التعامل مع إشكالية "أنا والآخر"، في صيغتها الأنا (المسلم - دولة أو جماعة أو فرداً) والآخر (غير المسلم)، وذلك بغرض:

1. تصحيح موقف الآخرين من الإسلام والمسلمين (الإسلاموفوبيا).
2. تقديم تصور قائم على أسس علمية، يقلل من الغلواء لدى بعض (الإسلاميين) في فهمهم وعلاقتهم بالآخر.
3. المساهمة الحضارية في بناء عالم وحضارة إنسانية، قائمة على العدل والإحسان.

4- منهج البحث:

سيعتمد البحث في تناوله لهذا الموضوع المنهج الفلسفي التحليلي المقارن، مستفيداً من النصوص (القرآن والحديث) المتعلقة بالموضوع، ومحللاً لها بتبيان معانيها وتوجهاتها، وربطها بموضوع البحث، مستنبطاً رؤية متكاملة لعلاقة المسلم بالآخر.

5- أهمية البحث:

1. يعمل البحث على إحياء مفهوم أصيل في التدين الإسلامي.
2. يعزز ثقة المسلمين بأنفسهم، ويسهم في صد الهجمة التي تحاول تشويه الإسلام.
3. يساعد المسلم على التكيف مع العولمة، والاستفادة من تجارب الآخرين.

4. يعزز الآراء الداعية للتواصل الإنساني، وحماية قرية الكرة الأرضية.

6- محاور البحث:

1. مفهوم أسنة التربية.
2. مفهوم العلاقات الدولية وأسسها.
3. النظرية الإسلامية في فهم الآخر.
4. البناء التربوي والأخلاقي للعلاقات الدولية في الإسلام.
5. مؤثرات (المعايشة) في الفكر الإسلامي المعاصر تجاه الآخر.
6. النتائج والتوصيات.

أولاً: مفهوم أسنة التربية:

لكي يتضح مفهوم أسنة التربية لا بد من المرور بمعنى كل من: الإنسان، التربية، التربية الإنسانية.

1- معنى الإنسان:

جاء في لسان العرب: " (أنس) الإنسان معروف، وقوله "بنو الإنسان" يعني بالإنسان آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام. والجمع الناس مذكر، وقد يؤنث على معنى القبيلة أو الطائفة.

والأنسُ خلاف الوحشة، وهو مصدر قولك أنستُ به بالكسر أنسا وأنسة، قال: وفيه لغة أخرى أنستُ به أنسا مثل كفرت به كفراً، قال: والأنسُ والاستئناس هو التأنسُ، وقد أنستُ بفلان، والإنسيُّ منسوب إلى الإنس، كقولك جننيٌّ وجنٌّ، وسنديٌّ وسندٌ، والجمع أناسيٌّ ككراسيٍّ وكراسيٍّ، وقيل أناسيٌّ جمع إنسان كسرحانٍ وسراحينٍ لكنهم أبدلوا الياء من النون، فأما قولهم أناسيةٌ جعلوا الهاء عوضاً من إحدى ياءي أناسيٍّ جمع إنسان".¹

وجاء في تاج العروس: الإنسُ بالكسر: البشرُ كالإنسان بالكسر أيضاً... والواحدُ إنسيٌّ بالكسر وأنسيٌّ بالتحريك. قال محمد بن عرفة الواسطيُّ: سُميَ الإنسيُّون لأنهم يؤنسون أي يروون وسُميَ الجنُّ جنًّا لأنهم مجنونون عن رؤية الناس أي متوارون.²

¹ ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب (بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى) ج6ص10.

² مرتضى الزبيدي تاج العروس من جواهر القاموس، ب، ت، ج، ص3840.

2- معنى التربية:

إذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية، وجدنا لكلمة التربية أصولاً لغوية ثلاثة؛ الأصل الأول: ربا يربو بمعنى زاد ونما. والأصل الثاني: ربي يربي ومعناها نشأ وترعرع. الأصل الثالث: رب يرب على وزن مد يمد بمعنى أصلحه وتولى أمره.¹

أما المعاني الاصطلاحية للتربية فقد تعددت التعريفات لها، وأحياناً تناقضت، وتدور هذه التعريفات حول الجوانب الآتية: تنشئة الطفل - العمل المدرسي - نقل ثقافة المجتمع - ترسيخ الأخلاق - السمو الروحي - الإعداد لمهنة - التكيف مع المجتمع - الإعداد للحياة - التطبيع الاجتماعي - تحقيق ذاتية الفرد - النمو المتوازن لشخصية الإنسان - تحقيق المواطنة الصالحة ،، وغيره كثير.

وبطبيعة الحال فإنه من غير الممكن حسم النقاش في ترتيب أولويات التربية حسب أهميتها، إذ ينبثق هذا النقاش من فلسفات ورؤى عن الإنسان والكون والوجود، انبثقت منها هذه التعريفات؛ ولما كانت هذه الفلسفات والرؤى متباينة ومتناقضة، انعكس ذلك على مفهوم التربية تبايناً وتناقضاً.

أما تعريف التربية الذي يخدم هذا البحث، ويتواءم معه فهو "بناء الفرد والمجتمع وفق فلسفة معينة".

3- معنى التربية الإنسانية:

تشير التربية الإنسانية في أحد معانيها - إلى تعليم النشء وتثقيفه، وتوجيهه وإرشاده إلى القيم الإيجابية. وتتمثل هذه التربية الإنسانية الإيجابية، أكثر ما تتمثل - حسب رأي ندره اليازجي - بتنمية "العقل المكوّن"، المنفتح على التعددية الفكرية والتنوع الإنساني في شتى المجالات والأبعاد وتطويره. وفي هذا التطوير والتنمية، يتجه "العقل المكوّن" إلى تحقيق الواجبات التي تحمل الحقوق في مضامينها وتطبيقها. وفي هذا الوسط الذي تسوده النظرة الإيجابية إلى الحياة والموقف الشمولي والكلّي، يتعلم الإنسان القيم والقوانين الطبيعية والكونية التي تشير إلى تحقيق الغاية أو الغايات النبيلة التي تجعل الإنسان غاية بذاته.²

4- معنى الأنسنة:

يعدُّ مصطلح الأنسنة من المصطلحات الحديثة، وقد تعددت استخداماته بطرائق متباينة:

¹ عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها (دمشق دار الفكر 1979) ص12.

² ندره اليازجي: وثيقة واجبات الإنسان

- أ- مناهضو العولمة: أستخدم مصطلح "الأسنة" لدى مناهضي العولمة للتعبير عن عولمة أكثر إنسانية (أسنة العولمة)، تحمي حقوق الفقراء والعمال والدول الناشئة والنامية، وذلك عبر توزيع عادل للثروة العالمية، يحفظ حق الحياة لأكثر من (80%) من سكان الأرض، تناستهم العولمة الوحشية التي لا تعطي إلا لـ (20%) من السكان فقط.¹
- ب- محمد أركون: أراد أركون بمشروع "الأسنة" فتح آفاق معرفية أتاحها للنقاش المفتوح، لمن أراد أن يدين بالنزعة الإنسانية (عملية ونظرية)، ودعا بمصادقية إلى تنمية الجزء الأكثر إنسانية في الإنسان، من أجل حمايته من نفسه، يقول أركون ما نصه: "إن الموقف الإنساني يقدر حجم قدراته ومدى تكرارها عبر تاريخ البشر، إنه يقترح حالات أو صيغاً للعقل، ومسارات للمعرفة، واستراتيجيات للتدخل من أجل تحجيم المواقف اللاإنسانية، وحتى استئصالها إذا أمكن ذلك".²
- ت- علي حرب: يطرح المفكر العلماني العربي البارز (علي حرب) في كتابه: "حديث النهايات" مجموعة كبيرة من المقولات، والأحكام التي تحتاج إلى وقفات متتالية، ولكن يمكن أن نأخذ نموذجاً لما انتهى إليه. فهو قد قام بتبيين كيف أن الأفكار والنظريات والمذاهب التي انتهجها الغرب، قد تسلت إلى وعينا وعقولنا، فمقولات مثل الديمقراطية والعقلانية والتقدم والعلمنة والأسنة والحدائثة وحقوق الإنسان وحرية الفرد، تشكل الانقلاب على النظرة اللاهوتية للكون والإنسان والعالم. ثم يصل به القول إلى أن أسنة العلاقات بين البشر في عصر المعلومة والعولمة مستحيلة بالعودة إلى تراثنا، ويخص بدراسته التشريعات وأحوال الإنسان في العصر المملوكي والمجتمع الأبوي (الذي يسلم قيادته لحاكم مستبد ذي نزعة تراحمية)، والفكر اللاهوتي (الفكر المبني على نظرية معرفة، تُعد الكتب السماوية طرفاً بارزاً فيها). ونحن هنا أمام نموذج آخر من نماذج فكر العلمنة والحدائثة في بلادنا. فعلي حرب يمثل قمة من قمم العلمانية والحدائثة.³

¹ علي عبد المنعم: مناهضة العولمة.. يوتيبيا شعب سيائل

<http://www.islamonline.net/arabic/arts/2002/10/article08.shtml>

² زكي الصديري: محمد أركون ومعارك الأسنة

<http://www.doroob.com/?p=4689>

³ منير شفيق: الفكر العلماني وصياغة العلاقات بين البشر بصورة إنسانية

<http://www.islamonline.net/Arabic/contemporary/arts/2001/article6-1.shtml>

5- أنسنة التربية:

بناءً على ما سبق، يمكن القول: إنَّ "أنسنة التربية" تعني إضافة بعد جديد إلى التربية، يهيئ الإنسان للإيمان بأخوة الجنس البشري، وأن مصالح بني البشر متعاضدة وليست متناقضة، وكذلك تهيي أنسنة التربية الفرد للتعامل مع عالم متعدد الثقافات والأخلاق والعادات. إنها بمعنى آخر إنشاء ثقافة وممارستها، تقضي بحسن الظن بالآخر، وتهيي الفرد للتعامل البنّاء مع الافتتاح للتواصل العالمي.

وتعني "أنسنة التربية" ضرورة صيغ جميع جوانب التربية التقليدية (سابقة الذكر) بالروح الإنسانية؛ فالارتقاء بالإنسان من جميع جوانبه؛ ليكون قوياً وجميلاً وذكياً واقتصادياً... كل ذلك ضروري ليكون أيضاً عضواً في المجتمع الإنساني. بحيث تصبح جميع مكونات التربية تخدم هدفاً مقبولاً، وهو تأخي الجنس البشري وتحابه وإسعاده.

إن مفهوم أنسنة التربية لا يعني إطلاقاً إلغاء الأبعاد الفردية للتربية بمكوناتها الفسيفسانية، وهي ليست خصماً على انتماء الإنسان لمجتمعه أو وطنه أو دينه أو عرقه، وهي ليست ضد مصالحه الفردية. فـ"أنسنة التربية" ليست حملة فكرية طوباوية، تدعو إلى إذابة الفرد في الجماعة أو إذابة الدولة القطرية في العالم، وإنما هي توسيع وإعادة ترتيب لمجالات التربية المعروفة، لتسمح بالتجانس والتآلف والانسجام، وسهولة الحركة من دوائر أربع وإليها؛ الفرد - الجماعة - المجتمع - الإنسانية.

و"أنسنة التربية" لا تعني بالضرورة الخروج على الأديان أو التخلص منها، بل هي قائمة على أساس التدين الواعي، القائم على صدقية الدين السماوي، وإسترشاداً بالهدي الإلهي. وهنا تبرز قيمة الإسلام وترشيحه موجهاً لحركة السلوك الإنساني، ونظمه للعلاقات بين البشر؛ إذ تميز الإسلام بكونه آخر الديانات السماوية نزولاً، ويخلوه (في مصدره الأساسيين) من التحريف وسطو الخرافات عليه.

ثانياً: مفهوم العلاقات الدولية وأسسها:

1- مفهوم العلاقات الدولية:

هل العلاقات الدولية حروب وصراعات، أم تحالفات وأحلاف؟ وهل هي سياسة بالمعنى الضيق وحسب؟! تتعدد المناهج المستخدمة في دراسة العلاقات الدولية، وإن كانت تلك المناهج تتدرج ضمن مجموعتين رئيسيتين، هما: مجموعة المناهج التقليدية، ومجموعة المناهج المعاصرة. ومن أشهر

المناهج التقليدية، المنهج التاريخي، والمنهج القانوني، والمنهج الواقعي أو منهج سياسات القوة، ومنهج المصالح القومية.¹

ويندرج تحت مفهوم العلاقات الدولية، سعي الدول من خلال صيغ متعددة، إلى إيقاع التأثير السياسي بعضها في بعضها الآخر، ويعكس هذا السعي الجانب السياسي لعملية التفاعل الدولي فقط، وهذه العملية لا تقتصر على الجوانب السياسية فحسب، بل تشمل الجوانب الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها، فظاهرة العلاقات الدولية ترتبط بمجموع الأفعال وردود الأفعال وأنماط التفاعل الدولي الناجمة عنها، سواء كانت ذات طبيعة سياسية أم غير سياسية، والجارية بين جميع الوحدات الدولية، وعلى جميع الأصعدة.

لذلك يمكن القول: إن ظاهرة العلاقات الدولية، تعكس في آن واحد ظواهر الصراع والتعاون الدولي، وتشكل ومن ثمَّ جوهر مجمل علاقات التفاعل الدولية وعملياته، السلمية وغير السلمية، إلى العلاقات الدولية، كما أن السياسة الخارجية تؤدي حتماً إلى تكوين السياسة الدولية، كذلك تؤدي السياسة الدولية إلى تكوين العلاقات الدولية، والترابط الصاعد من الأسفل، فإنه لا مبالغة في القول: إن السياسة الخارجية هي أساس جميع التفاعلات الدولية، ومن دونها تنتفي هذه التفاعلات أصلاً، وهذا ما يؤكد جملة من أساتذة العلوم السياسية أمثال كورت لندن، وليك ومورسون وشارلس ليرج وغيرهم.²

وقد بين تاريخ العلاقات الدولية خلال مدة طويلة بأنها تتلخص بعامل المصلحة، وأن المصلحة الوطنية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالاستراتيجية التي تنتهجها الدولة - أي دولة - وسواء كانت هذه المصالح سياسية أو اقتصادية أو علمية أو غير ذلك من حزمة المصالح، إلا أن المؤكد أن المصالح بكاملها لا يمكن أن تتحقق دون العامل العسكري القوي، وأن العامل العسكري القوي لا يمكن أن يتحقق دون الاستعداد الدائم للحرب.³

¹ نادية محمود مصطفى: ما هي العلاقات الدولية؟!

<http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/mafahem-Aug-2000/mafahem-2.asp>

² الصباح: مفهوم السياسة الخارجية

<http://www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&sid=28986>

³ صالح النملة: العلاقات الدولية تاريخ من الاستعداد للحرب

<http://www.alriyadh.com/30/05/2006/article158893.html>

2- أسس العلاقات الدولية في الحضارة المعاصرة:

1. المصلحة الوطنية: وهي مبنية على وجود قيم في الجماعة الوطنية يمكن عداها من نتاج ثقافتها، ومعبرة عن روح تجانسها.
 2. القوة: وهي في الأساس وسيلة لتحقيق القيم الوطنية، التي تعتقها هذه الدول، والمشكلة التي تواجه العالم ليست في كيفية إزالة القوة، ولكن في كيفية السيطرة عليها، وإبقائها ضمن القنوات المشروعة.
- وتتسم العلاقات الدولية الحالية بخاصيتين أساسيتين، تطبعان منهج العلاقات الدولية في الحضارة الغربية أو المعاصرة:

1. هشاشة القوة الإلزامية لقواعد القانون الدولي المفروض أن تحكم العلاقات الدولية، ووجود اختلاف كبير في تقييم أهميته.
 2. هشاشة الأساس الأخلاقي الذي يرتكز عليه هذا المنهج.
- مما يشير إلى عدم سلامة منهج الحضارة الغربية في العلاقات الدولية، وعدم صلاحيته لإبعاد شبح الفناء والدمار الذي يتهدد البشرية.¹

3- النظام الدولي الجديد (التطبيق الأخير للعلاقات الدولية في الحضارة المعاصرة)

أ- معالم النظام الدولي الجديد:

1. الهيمنة الأمريكية على القرار الدولي، وذلك في عدم وجود إرادة مستقلة لدول المجموعة الأوروبية الكبرى، وتهميش دور القوى الإقليمية والدولية الأخرى، وغياب دور الأمم المتحدة.
2. الفوضى السياسية، وحالة الغليان الشديد على المسرح الدولي، اللتان يعبر عنهما احتدام أكثر من (30) صراعاً دموياً ذا طبيعة داخلية، أي الاتجاه نحو تدمير الذات.
3. الهيمنة على اقتصاديات دول العالم، حيث تعكس مؤشرات حركة رؤوس الأموال منذ بداية الثمانينيات توجهاً متزايداً نحو المضاربة في الأسواق المالية الكبرى المتمركزة حول دول الشمال.

¹ صالح بن عبد الرحمن الحصين: العلاقات الدولية بين منهج الإسلام، والمنهج الحضاري المعاصر
<http://www.fiqhacademy.org.sa/fislamic/1-2.doc>

4. القضاء على العدالة الاجتماعية والرفاهية الإنسانية العامة، وتبين الأرقام حجم الخلل بين الشمال والجنوب خلال عام 1991م:

المؤشر	الشمال	الجنوب
الدخل الإجمالي	18386 مليون دولار	3399 مليون دولار
عدد السكان	1400 مليون نسمة	4000 مليون إنسان
دخل الفرد الوطني سنوياً	13561 دولار	851 دولاراً

أي مستوى دخل الفرد في دول الجنوب يبلغ (6%) من دخله في دول الشمال.¹

ب - دعائم النظام الدولي الجديد:

1. القوة العسكرية الأمريكية: فعلى الرغم من انتهاء الصراع بين الكتلتين إلا أن حلف شمال الأطلسي زادت قوته، ولم تسجل أي تخفيضات في ميزانياته وإمكانياته. وكذلك دخلت في معاهدات عسكرية ثنائية مع عدد من الدول.
2. الشرعية الدولية: نجحت الولايات المتحدة في تهميش دور الجمعية العامة للأمم المتحدة، وغدت تستغل الأمم المتحدة شعاراً أو غطاءً لتدخلها في شؤون دول العالم الثالث، بحجة تعميق النظام الدولي، والقضاء على الإرهاب، وإطفاء بؤر التوتر في العالم ونصرة حقوق الإنسان.
3. تعبئة رأس المال: استخدم رأس المال ومنذ عام (1986) في حرب اقتصادية بلا هوادة يشنها الشمال على مجتمعات الجنوب، وأصبحت المديونية أداة قوية تستخدمها القوى الكبرى لإحداث تحولات اقتصادية وسياسية واجتماعية وحضارية وهيكلية في بنية هذه المجتمعات بما يتناسب ومصالحها وتوجهاتها الاستراتيجية.²

ب - روافد النظام الدولي الجديد:

1. الخطاب الأيديولوجي العقائدي: يؤمن النظام الدولي الجديد بأن ما يحرك الإنسان هو الدوافع الاقتصادية، ويؤكد دعائه أن التحالفات السياسية في الوقت الحاضر لا تستند إلى الأيديولوجيا، وإنما إلى المصالح الاقتصادية.

¹ مجدي عمر: التغييرات في النظام الدولي وأثرها في منطقة الشرق الأوسط (عمان، مركز دراسات الشرق الأوسط، 1995) ص30-32.

² المرجع السابق، ص32-35.

ويستند خطاب النظام الدولي الجديد إلى محورين؛ هما الديمقراطية وحقوق الإنسان، واقتصاد السوق الحر.

2. التعبئة الإعلامية: يحتل الإعلام مكانة بارزة في توجيه الرأي العام والتأثير فيه، بفضل التطورات الهائلة في تقنية الاتصالات، وقد كشفت حرب الخليج الثانية قدرة القوى العظمى على توظيف الإعلام لصالحها في المعركة، بشكل درامي ومثير.
3. توظيف الثقافة والبحث العلمي: يمر الإنتاج الفكري -في معظمه- اليوم عبر هيئات ثقافية ومراكز بحثية، وذلك بسبب ارتفاع التكلفة وضرورة توفر بنية تحتية وثانوية، ولذا فإنها كثيراً ما تقع تحت تأثير مراكز الطلب، وتكون مرتبطة بالتوجهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للنظام الدولي الجديد.¹

ج- خطر النظام الدولي الجديد على البشرية:

يقول روبرت كوبر (المدير العام للشؤون الخارجية والسياسية والعسكرية لمجلس الاتحاد الأوروبي، وأحد كبار الدبلوماسيين) يقول: "إن أسوأ أوقات شهدتها التاريخ الأوروبي كانت في القرن الرابع عشر في أثناء حرب المئة عام وما بعدها، وفي القرن السابع عشر إبان حرب الثلاثين سنة، وفي النصف الأول من القرن العشرين. وقد يكون القرن الحادي والعشرون أسوأ من أي من هذه الأوقات... إن القرن الجديد معرض لأن تسحقه القوضى والتكنولوجيا، هذان العاملان المدمران للتاريخ يمكن أن يعزز أحدهما الآخر".²

وممكن الخطر المباشر في النظام الدولي القائم، هو أن سيطرة الولايات المتحدة أدت إلى تقويض النظام الدولي، من حيث:

1. تجاوز القوانين التي تحكم العلاقات الدولية؛ فقد تجاوزت هذه الدولة كل قاتون دولي، وخنقت منظمة الأمم المتحدة حتى أصبحت في حالة احتضار، وقد صرح (بولتون) ممثل الولايات المتحدة: إما أن تكون الأمم المتحدة أداة في يد المحافظين الجدد، وإما أن تلغى.
2. التخطيط لسيادة (القوة والبطش) في العلاقات الدولية، ثم مباشرة هذا التخطيط على أرض الواقع؛ يقول مرشد المحافظين الجدد ومفتيهم القس بات روبرتسون في كتابه النظام العالمي الجديد-تمهيد للنظام العالمي الإلهي: "إن إعلان النظام العالمي الجديد بعد سقوط

¹ المرجع السابق، ص36-42.

² روبرت كوبر: تحطم الأمم، ترجمة: زهير السمهوري (السعودية، مكتبة العبيكان، 2005) ص17-15.

الاتحاد السوفيتي وحرب الخليج ليس إلا بداية لنهاية التاريخ"، ونهاية التاريخ هو الوصول إلى نقطة أو لحظة معركة هرمجدون، التي تُسحق فيها الكثرة الشريرة، وتبقى القلعة الخيرة التي تستقبل المسيح، وتسد بجنة الأرض. فقد صرح الرئيس الأسبق رونالد ريغان: "في سفر حزقيال: إن الرب سيأخذ أولاد إسرائيل من بين الوثنيين، ويعودون جميعاً مرة ثانية إلى الأرض الموعودة. لقد تحقق ذلك أخيراً بعد ألفي سنة، وللمرة الأولى يبدو كل شيء في مكانه، من انتظار هرمجدون والمجيء الثاني للمسيح".

3. عدم الاستفادة من تجارب أصحاب (العقائد الأيدلوجية الموهوسة)، فمؤدج هتلر مثلاً الذي دمر بلاده وأذلها وأشعل حرباً عالمية مدمرة، في سبيل وهم أيدلوجي وهو (ألمانيا فوق الجميع)، وكذلك نموذج الاتحاد السوفيتي الذي ضحى بمصالحه الحيوية وإمكاناته الهائلة في سبيل (وهم أيدلوجي) وهو: نشر الشيوعية في العالم.

أدلة الأيدلوجية وشواهدا التي تتحكم في تفكير قادة أمريكا وإسرائيل:

1. توثق الكاتبة الأمريكية جريس هالسيل المعلومة الآتية: إن عدداً كبيراً من الإنجليبين يستدلون بما ورد في سفر دانيال من العهد القديم، وسفر الرؤية من العهد الجديد، أن الله كتب على البشرية الدخول في حرب نووية، وهي حرب هرمجدون، التي بشر بها الكتاب المقدس (كما يزعمون). وقد أصبح ألوف القسس والذين يتبعهم الملايين من الأمريكيين يؤمنون بحتمية الحرب العالمية، التي تدمر العالم فيظهر المسيح من ثم.
2. ورد في دورية (القرن المسيحي) بتاريخ 17 فبراير 1992 ما يأتي: "شهدت أمريكا مع انتخابات سنة 1992 ظهور (حزب الله)، بالتحالف بين اليمين المسيحي، ويمين الحزب الجمهوري"، وهذا الحزب يؤمن بعودة المسيح، ولكن بعد حرب عالمية ساحقة ماحقة.
3. عقد حزب (شهود يهوه) -في شهر أغسطس 2006- مؤتمراً موسعاً في لندن، وكانت النقطة الرئيسية في أجندة المؤتمر هي: التبشير بأن معركة هرمجدون قد اقترب وقتها، وستدور في فلسطين، وأن قيادة لوائها ستكون في يد بني إسرائيل، وستكون معركة عالمية حاسمة تميز بين أهل الخير وأهل الشر، فتبقى على الأوائل، وتهلك الآخرين هلاكاً أبدياً.
4. يقول فرانسيس فوكوياما في كتابه الجديد "أمريكا على مفترق طرق": "جاءت إدارة بوش إلى البيت الأبيض من منطلق عقائدي، متحيز ومتصلب ضد الأمم المتحدة والمنظمات

الدولية، ومنها محكمة العدل الدولية. كما أساءت توصيف ما زعمت أنه خطر إسلامي يواجه الولايات المتحدة، والحقيقة أن عدداً كبيراً من غلاة الداعين إلى الحرب مثل بول وولفويتز، ودوغلاس فيث، وريتشارد بيرل كانوا من اليهود».

5. يقول جون دين (المستشار السابق للرئيس الأمريكي ريتشارد نكسون) في كتابه "محافظون بلا ضمير" يقول: "إن أجندة المحافظين الجدد تتطابق مع أجندة أخرى متطرفة، وهي أجندة الأصوليين في اليمين المسيحي، بقيادة الحزب الجمهوري الآن -كما الحزب الشيوعي السوفيتي سابقاً- متشعبة بايدولوجيا رسمية، وبوش نفسه سقيم الفكر، ذو شخصية يمينية متطرفة وسلطوية، وهو ومن حوله يعتقدون أنهم "رسل العناية الإلهية". وقد ردد بوش عدة مرات: "إن الرب دعاه ليرشح نفسه لرئاسة الولايات المتحدة، في مهمة تدخل في نطاق الخطة الإلهية، لتصدير الموت والخراب إلى أنحاء العالم، لتطهيره من رموز الشر. وقد قال -كذلك-: "لقد أبلغني الرب بأن أهاجم القاعدة والعراق ففعلت.."، إنهم يقودون العالم إلى حرب مهلكة كما فعل هتلر.¹

ثالثاً: النظرية الإسلامية في فهم الآخر:

تتبع الرؤية الإسلامية للعالم من أصل عقدي إيماني هو التوحيد؛ الذي يعني الإقرار بوجود الله وبوحدانيته سبحانه وتعالى، وأنه هو خالق هذا الكون ومالكة الحقيقي الوحيد ولا شريك له، وهو الذي خلق الإنسان، وجعله خليفة في الأرض ليعمرها، ولينصرف فيها طبقاً لأوامره عز وجل، وامتثالاً لإرادته سبحانه: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18] ويتضمن الإقرار بوحدانية الله كمال العقيدة من جهتي الربوبية (الخلق والتربية) والألوهية (العبادة).²

والجانب الآخر في نظرة الإسلام إلى الآخر هو الرحمة؛ فقد جاء الرسول صلى الله عليه وسلم قائداً وإماماً ومريئاً وحاكماً رحيماً ودوداً، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]. وهي رحمة كما يقول المفسرون تشمل كل المخلوقات، الإنس والجن

¹ زين العابدين الركابي: عقيدة تدمير العالم.. كمقدمة ضرورية لمجيء المسيح

<http://www.aawsat.com/leader.asp?section=3&article=376497&issue=10112>

² إبراهيم البيومي غانم: المبادئ العامة للنظرية الإسلامية في العلاقات الدولية

<http://www.islamonline.net/Arabic/contemporary/politics/2006/06/02.shtml>

والجماد، فكان صلوات الله عليه حين ولد وبُعث رحمة للإنسانية، لأمة أعاد لها إنسانيتها وإحساسها بذاتها وكرامتها.¹

ويمكن تلخيص نظرة الإسلام إلى الآخر على النحو الآتي:

1- وحدة المنشأ:

ينظر الإسلام إلى أفراد الجنس البشري -مهما تباينت ألوانهم أو معتقداتهم أو مكاناتهم- بأنهم أخوة، ليس أخوة اعتبارية فحسب، بل أخوة حقيقية بالمفهوم البيولوجي؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً...﴾ [النساء:1]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:13].

وفي الحديث الشريف: " قد أذهب الله عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي وفاجر شقي، والناس بنو آدم وآدم من تراب"².

وقد جاءت أحدث الدراسات في علم الوراثة، تؤكد نظرة الإسلام بأن جميع بني البشر إخوة؛ فقد أثبتت دراسة أجريت على خمسة أشخاص من أجناس بشرية مختلفة، أنه "من المستحيل تحديد الانتماء العرقي لأي من الأشخاص الخمسة -الذين أجريت عليهم الدراسة- انطلاقاً من مخزونهم الوراثي"³.

2- وحدة الهدف والتكليف:

ينظر الإسلام إلى أن مهمة جنس بني البشر هي مهمة واحدة؛ ألا وهي طاعة الله وعبوديته، لا تمايز في خلق أحد لغير هذه الغاية (لا بنوة لله، ولا قرابة، ولا اختيار أو اصطفاء)؛ ولم يجعل خيرية لأحد على أحد إلا بمقدار التمايز في تنفيذ هذه المهمة؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:21]. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء:175-174].

¹ يسري هاني: رحمة للعالمين

http://www.islamonline.net/arabic/in_Depth/mohamed/Morals/article02.shtml

² سنن الترمذي، ج5، ص735.

³ خير: "مشروع الجينوم ينهي أسطورة العرق" (الأيام، العدد 1623، بتاريخ 2000/6/27، رام الله) ص27.

3- عموم الرسالة:

أخبر الله جل في علاه أنه أرسل محمداً e برسالة الإسلام، ليس لعرق بشري معين دون باقي الأعراف، وليس لمكان جغرافي دون غيره، وإنما من حق كل بني البشر أن يدخلوا في هذا الدين ويتفياؤا ضلاله؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ:28]. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الحج:49]. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ:28]. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:158].

4- وحدة الديانات السماوية:

نظر الإسلام إلى الأنبياء والديانات جميعاً السابقة باحترام شديد، وجعل الإيمان بهذه الديانات جزءاً من عقيدة المسلم، لا يصح إيمانه من دونها، ومصدر هذه الديانات جميعها واحد، هو الله عز وجل؛ قال تعالى: ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:285]. ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى:13]. ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْغِيَ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران:19].

وعن أبي هريرة عن رسول الله e قال: "الأنبياء أخوة لعلات وأمهاتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم..."¹.

وهذا لا يعني أن الديانات جميعها ما زالت صالحة للتعبد، لدى عدد من المفسرين، ولا سيما بعد بعثة محمد e، قال ابن كثير: أخبر تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى ختموا بمحمد e، الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد e، فمن لقي الله بعد بعثة محمد e بدين على غير شريعته فليس بمتقبل.²

¹ محمد بن حبان: صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1993) ج15، ص225.

² إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، ج1، ص471.

5- قبول التنوع

ينظر الإسلام إلى التنوع والاختلاف بأنه سنة من سنن الله في الأرض، وآية من آياته يحدث بمشيبته، وفقاً لحكمته عز وجل؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود:118]. ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس:19]. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:99]. ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:25]

قال ابن كثير: "ولا يزال الخلف بين الناس؛ في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم، وقال عكرمة: مختلفين في الهدى، وقال الحسن البصري: مختلفين في الرزق يسخر بعضهم بعضاً، والمشهور الصحيح الأول. وقوله: {إلا من رحم ربك} أي إلا المرحومين من أتباع الرسل، الذين تمسكوا بما أمروا به من الدين، الذي أخبرتهم به رسل الله إليهم ولم يزل ذلك دأبهم"¹.

6- تكريم الجنس البشري:

كرم الله الجنس البشري، كل الجنس البشري بلا استثناء: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء:70].

وقد تعددت صور تكريم الله لبني آدم، على مناح شتى، منها:

- خلق الإنسان بيده: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي...﴾ [ص:75].
- نفخ فيه من روحه: ﴿فَإِذَا سُوِّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي...﴾ [الحجر:29].
- أسجد له الملائكة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا...﴾ [البقرة:34]. وهذا التكريم ليس لآدم وحده، بل لذريته من بعده؛ قال ابن كثير: "هذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم، امتن بها على ذريته، حيث أخبر أنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم"².

¹ المرجع السابق، ج2، ص610.

² المرجع السابق، ج1، ص112.

- حسن صورته: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 6-8] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4].
- سخر له الكون: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: 13]. ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان: 20].

7- وحدة المصير:

يقدم الإسلام مصيراً واحداً للبشرية دون تمييز لأحد، وقد تلخص هذا المصير الواحد للجميع في الموت، ثم البعث ثم الحساب ثم الجزاء، لا يستثنى من ذلك أحداً!

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: 87]. ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: 26]. ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التغابن: 9]. ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47]. ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7-8].

ترسخت هذه المفاهيم سلوكاً لدى المسلمين، يملؤه الحب والتسامح تجاه الآخر، وتقبله، والتعايش معه، والزواج منه، وتبادل الهدايا معه، والدخول معه في علاقات اجتماعية وسياسية... هذا ما أثبتته التاريخ الطويل في تعامل المسلمين مع غيرهم عندما كانوا أقوياء، وعندما كان الإسلام قوي التأثير في نفوسهم، وقبل أن تدخل عليهم ثقافة الغرب العدوانية تجاه الآخر.

رابعاً: البناء التربوي والأخلاقي للعلاقات الدولية في الإسلام:

هدف هذا المبحث إلى بيان المبادئ التأسيسية العامة للنظرية الإسلامية، في مجال العلاقات الدولية، والمقصود بالمبادئ التأسيسية هنا هو مجموعة القيم، والموجهات العقدية، والأخلاقيات العملية، المستمدة من المصدر الأساسي للإسلام (القرآن والسنة)، وهي التي تشكل إطاراً مرجعياً ومعياراً عاماً؛ من المفترض أن تستند إليه النظريات والرؤى والمواقف، التي تنتبها الجماعات والنظم

والحكومات المسلمة في علاقاتها الدولية، وأن تلتزم بها قبل أن تدعو غيرها إليها من ناحية، وأن يُقاس على هذا الإطار سلوكها الفعلي في هذا المجال من ناحية أخرى. وليس من مهمتنا - هنا - التطرق إلى النظريات والرؤى والمواقف الاجتهادية، التي قال بها فقهاء الإسلام وعلماؤه ومفكروه، كجهد تنظيري منهم لتنظيم العلاقات الدولية للمسلمين، في سياق مرحلة محددة جغرافياً وتاريخياً أو مكانياً وزمانياً.¹

ويلاحظ في هذا السياق أن القرآن الكريم قد ميز بين نوعين من العلاقات الدولية (والتعامل مع الآخر)، فليس كل الآخر بواحد! ولذا فليس لكل الآخر معاملة واحدة؛ قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوْلَوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: 8-9].

قال القرطبي: قوله تعالى: { لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين } فيه ثلاث مسائل: الأولى: هذه الآية رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين، والثانية: قوله تعالى: { أن تبروهم } أي لا ينهاكم الله عن أن تبروا الذين لم يقاتلوكم، الثالثة: قال القاضي أبو بكر في كتاب الأحكام له: "استدل به - من رأى ذلك - على وجوب نفقة الابن المسلم على أبيه الكافر، وهذه وهلة عظيمة إذ الإذن في الشيء أو ترك النهي عنه لا يدل على وجوبه، وإنما يعطيك الإباحة خاصة وقد بينا أن إسماعيل بن إسحاق القاضي دخل عليه ذمي فأكرمه فأخذ عليه الحاضرون في ذلك فتلا هذه الآية عليهم".²

وقد فصل الفقهاء المسلمون أنواع هذه العلاقات: "الكافر الذمي - الذي يعيش بين المسلمين"، "الكافر المحارب"، "الكافر المعاهد"، "الكافر المسالم"... وكل له أحكام وآداب معاملته. وجليد بالذكر هنا أن الإسلام ليس كالمسيحية - فيما يقال - "إذا ضربك أحد على خدك الأيسر فأدر له خدك الأيمن"، بل يقرر الإسلام: ﴿...فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 194].

ولما كان هذا البحث ليس في مجال الفقه والتفصيل، فإنه يُكتفى هنا بالقواعد والتوجيهات، التي تضبط علاقة المسلم بالآخر بصورة عامة، وتصلح لأن تكون منطلقات للعلاقات الدولية:

¹ إبراهيم البيومي غانم: المبادئ العامة للنظرية الإسلامية في العلاقات الدولية

<http://www.islamonline.net/Arabic/contemporary/politics/2006/06/02.shtml>

² محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ج18، ص53.

1- العدل للجميع:

يعدُّ العدل إحدى القيم المطلقة -وليس النسبية- في الإسلام، فهو مطلوب في كل زمان ومكان، وعلى القريب والبعيد، والعدو والصديق، والمؤمن والكافر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:58]، ﴿...وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ...﴾ [الأنعام:152]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:8]. قال ابن كثير: وقوله تعالى: {ولا يجرمنكم شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا} أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل مع الآخر صديقًا كان أو عدوًا، ولهذا قال {اعدلوا هو أقرب للتقوى}، أي عدلكم أقرب إلى التقوى من تركه.¹

2- التحلل من الشعور بالوصاية على الآخرين:

نفي القرآن الكريم مسؤولية الهداية وضرورة إلزام الآخرين للحق بالقوة، وطلب من المؤمنين فقط الاهتمام بتزكية أنفسهم، وتبليغ الرسالة لغيرهم، أما نتائج هذا التبليغ فليس للمسلمين به شأن؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام:66]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام:107]، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [يونس:108]، ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرْحِمَكُمُ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبِكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء:54]، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر:41]، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ...﴾ [الكهف:29]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:105]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:56].

وقد أسهم هذا التوجيه لدى المسلمين في عدم قيام "فرق أسلمة"، لإجبار الناس على دخول الإسلام، أو تشكيل محاكم تفتيش -سيئة السمعة-، للتحقق من مطابقة عقائد الناس للمواصفات! يقول الكونت دي كاستري في كتابه (الإسلام خواطر وسواتح): إن الإسلام لم يكن له دعاة مخصصون للقيام

¹ تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج2، ص43.

بالدعوة إليه، وتقديم مبادئه كما في المسيحية، ولو أنه كان للإسلام أناس قومون لسهل علينا معرفة السبب في انتشاره السريع. فقد شاهدنا الملك شارلمان يصطحب معه على الدوام في حروبه ركبا من القسس والرهبان، لياشروا فتح الضمائر والقلوب، بعد أن يكون هو قد فتح المدن والأقاليم بجيوشه، التي كان يُصلي بها الأمم حرباً لا هوداة فيها، ولكننا لا نعلم للإسلام مجمعاً دينياً يتبع الجيوش، فلم يُكره أحداً عليه لا بالسيف ولا باللسان!

3- الاحترام المتبادل للرأي:

على الرغم من قضاء القرآن الكريم ببطلان عقائد أهل الكتاب وفسادها، ومن باب أولى الوثنيون والمشركون: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:17]، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة:30]. إلا أن القرآن الكريم أمر باحترام (عدم سب) عقائد أهل الديانات الأخرى، وأمر بمجادلتهم بالحسنى، وأن يُقَمَّ كلُّ (المسلمون ومخالفوهم) دينه دون التعرض للآخر؛ قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:64]. ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:108]. ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:125].

جاء في تفسير الطبري: "يعني بذلك جل ثناؤه: {قل} يا محمد لأهل الكتاب وهم أهل التوراة والإنجيل -وأضاف ابن كثير: ومن جرى مجراهم- {تعالوا} هلموا، {إلى كلمة سواء} يعني: إلى كلمة عدل بيننا وبينكم، والكلمة العدل هي أن نوحده الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه فلا نشرك به شيئاً. وقوله: {ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً} يقول: ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فيما أمر به من معاصي الله، ويعظمه بالسجود كما يسجد لربه، {فإن تولوا} يقول: فإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من الكلمة السواء، التي أمرتك بدعاتهم إليها فلم يجيبوك إليها، {فقولوا} أيها المؤمنون للمتولين عن ذلك {اشهدوا بأنا مسلمون}².

¹ خالد أبو أحمد: الآخر في العقيدة الإسلامية والثقافة العربية، مرجع سابق.

² محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري: جامع البيان عن تأويل أي القرآن (تفسير الطبري)، ج3، ص299.

وقد قال فريق من العلماء المسلمين (متقدمين ومتأخرين)، بأن الحوار مع أهل الكتاب وغيرهم وتركهم وما يعيدون، إنما كان في بداية الإسلام عندما كان الإسلام ضعيفاً، وقد نُسخ هذا بآية السيف ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة:29]. ولكن ممارسة المسلمين بعد النبي ﷺ - وهم أقوياء - لم يثبت فيها أنهم قد خالفوا الآيات السابقة؛ يتحدث الكاتب النصراني (هوبير ديشان) في كتابه (الديانات في أفريقيا السوداء) عن انتشار الإسلام بالدعوة في أفريقيا، فيقول: "إن انتشار دعوة الإسلام بأفريقية لم تقم على القسر، وإنما قامت على الإقناع الذي كان يقوم به دعاة متفردون، لا يملكون حولاً ولا طولاً إلا قوة إيمانهم العميق بدينهم، وكثيراً ما انتشر الإسلام بالتسرب السلمي البطيء من قوم إلى قوم، كان إذا ما اعتنقته الأرستقراطية، وهي هدف الدعاة الأول، تبعها بقية القبيلة. وقد يسر انتشار الإسلام أمراً آخر، وهو أنه دين فطرة بطبيعته سهل التناول، لا لبس فيه ولا تعقيد في مبادئه، سهل التكيف والتطبيق في مختلف الظروف".¹

4- حفظ رعايا المقاتلين :

منع الإسلام قتل غير المقاتلين (المدنيين) التابعين للكفار المقاتلين؛ قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَفْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:190]. قال ابن كثير: {ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين} أي قاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا في ذلك؛ ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي كما قاله الحسن البصري: من المثلة والغلول وقتل النساء والصبيان والشيوخ، الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم والرهبان وأصحاب الصوامع، وتحريق الأشجار وقتل الحيوان لغير مصلحة، كما قال ذلك ابن عباس وعمر بن عبد العزيز ومقاتل بن حيان وغيرهم². جاء في صحيح مسلم عن بريدة أن رسول الله ﷺ كان يقول: "اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً"³. وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال: "اخرجوا، بسم الله تقاتلون في سبيل الله، من كفر بالله، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا

¹ خالد أبو أحمد: الآخر في العقيدة الإسلامية والثقافة العربية، مرجع سابق.

² تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج1، ص307.

³ صحيح مسلم، ج3، ص1356.

الولدان، ولا أصحاب الصوامع"¹. وعن ابن عمر: "أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم مقتولة فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان"².

ولئلا يتذرع أحد بنسخ هذه الأخلاق والتربية، نورد تعاليم أبي بكر الصديق - وهو خليفة - بعد وفاة النبي ﷺ عن يحيى بن سعيد: أن أبا بكر الصديق بعث جيوشاً إلى الشام، فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان، وكان أمير ربيع من تلك الأرباع، فزعموا أن يزيد قال لأبي بكر إما أن تركب وإما أن أنزل، فقال أبو بكر ما أنت بنازل وما أنا براكب، إني احتسب خطاي هذه في سبيل الله. ثم قال له: إنك ستجد قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرههم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له، وستجدون قوماً فحصوا عن أوساط رؤوسهم من الشعر، فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف. وإني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة ولا صبيلاً ولا كبيراً هرمياً، ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا تخربين عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بغيراً إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلاً ولا تفرقنه، ولا تغلل ولا تجبن.³

وقد أفتى ابن تيمية: "قتل المرأة من أهل الحرب، من غير أن تقاتل بيد ولا لسان، ولا أن ترتكب ما هو بنفسه موجب للقتل... قتل مثل هذه المرأة حرام بالسنة والإجماع"⁴

5- عقد التحالفات التي تعزز السلم وحقوق الإنسان:

يؤيد الإسلام عقد التحالفات والمواثيق مع غير المسلمين، والتي فيها الصالح العام للمسلم وغيره؛ عن أبي سلمة مرفوعاً أن النبي ﷺ قال: ما شهدت من حلف إلا حلف المطيبين، وما أحب أن أنكثه، وأن لي حمر النعم... ولو دعيت به اليوم في الإسلام لأجبت. وكان حلفهم أن لا يعين ظالم مظلوماً بمكة، وذكروا في سبب ذلك أشياء مختلفة، محصلها أن القادم من أهل البلاد كان يقدم مكة، فربما ظلمه بعض أهلها، فيشكوه إلى من بها من القبائل فلا يفيد، فاجتمع بعض من كان يكره الظلم ويستقبله إلى أن عقدوا الحلف، وظهر الإسلام وهم على ذلك.⁵

¹ مسند أحمد بن حنبل، ج1، ص300.

² صحيح البخاري: ج3، ص1098.

³ مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي: موطأ الإمام مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (مصر، دار إحياء التراث العربي، دون تاريخ) ج2، ص447.

⁴ أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية: الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني ومحمد كبير أحمد شودري، (بيروت دار ابن حزم، 1417هـ) ج1، ص137.

⁵ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (بيروت، دار المعرفة، 1379) ج4، ص473.

وينبغي الإشارة هنا إلى أن المقصود بهذه التحالفات التي تعزز السلم وحقوق الإنسان حقيقةً، وتضمن الكرامة والحرية والعيش المشترك لجميع بني البشر، وليس مثل ما تفعله بعض الدول العظمى اليوم، من استخدام لهذه الشعارات النبيلة، بغرض فرض هيمنتها واستغلالها لباقي شعوب الأرض، ولاسيما المستضعفين منهم.

6- التنافس في الخيرات:

أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين وغيرهم من أهل الديانات الأخرى، بعمل الصالحات والتنافس فيها: قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيٰهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:148]. ﴿... لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة:48].

قال البغوي في تفسيره: قوله تعالى: {ولكل وجهة} أي لأهل كل ملة قبله...، {هو موليتها} أي مستقبلها ومقبل إليها...، {فاستبقوا الخيرات} أي إلى الخيرات، يريد: بادروا بالطاعات، والمراد المبادرة إلى القبول، {أيما تكونوا} أنتم وأهل الكتاب، {يأت بكم الله جميعاً} يوم القيامة فيجزئكم بأعمالكم.¹ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: بادروا أيها الناس إلى الصالحات من الأعمال، والقرب إلى ربكم بإدمان العمل بما في كتابكم، الذي أنزله إلى نبيكم، فإنه إنما أنزله امتحاناً لكم وابتلاءً، ليتبين المحسن منكم من المسيء، فيجازي جميعكم على عمله جزاءه عند مصيركم إليه، فإن إليه مصيركم جميعاً، فيخبر كل فريق منكم بما كان يخالف فيه الفرق الأخرى، فيفصل بينهم بفصل القضاء وتبين المحق مجازاته إياه بجناته، من المسيء بعقابه إياه بالنار، فيتبين حينئذ كل حزب عياناً، المحق منهم من المبطل.²

7- ترسيخ قانون دولي:

في خضم التغيرات السريعة والكبيرة معاً في الوضع الدولي، واستشراف الجميع نحو نظام عالمي جديد، وأهمية وضع المسلمين الذين يزيد عددهم على المليار في هذه القضية، يبدو ملحاً أهمية تحديد رؤية معاصرة للمسلمين في العلاقات الدولية. ومع أنه لا يزال بعضهم يظن أن ليس للشريعة الإسلامية كلمة في مجال العلاقات الدولية، وعلى وجه الخصوص أن ما يسمى بالقانون الدولي

¹ الحسين بن مسعود الفراء البغوي أبو محمد: معالم التنزيل، (تفسير البغوي) ج1، ص164.

² محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري: جامع البيان عن تأويل أي القرآن (تفسير الطبري)، ج4، ص606.

الإسلامي، ليس إلا بعض الوصايا الواردة في الشريعة الإسلامية، والتي لا تعدُّ قانوناً دولياً؛ إذ لم يجر الاتفاق عليها بين المسلمين وغيرهم. إلا أن اهتمام الشريعة الإسلامية بالعلاقات الدولية أمر واضح من حيث المبدأ، فما دامت دعوة الإسلام عالمية لا بدَّ من بلورة رؤيته للعلاقات مع العالم.¹

وبناءً على ما سبق يمكن القول: إنَّ الإسلام يدعو إلى ترسيخ قانون عالمي، يقوم على المبادئ التي دعا إليها في فهم الآخر والتعامل معه، بحيث يضمن هذا القانون تحقيق المتطلبات الآتية:

- أ- حماية الحريات الأساسية: مثل حرية التدين، وحرية التملك، وحرية السكن، وحرية التنقل...، وتعزيز المسؤولية الفردية: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر:38].
- ب- الحفاظ على خصوصيات الشعوب والجماعات وتنوعها الثقافي: إذ سبق القول: إنَّ التنوع (بأنواعه) في نظر الإسلام سنة من سنن الله، وآية من آياته أوجده لحكم معلومة.
- ت- فض النزاعات وحماية المستضعفين: إذ يعدُّ هذا الأمر أحد أهداف الجهاد في الإسلام: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء:75].
- ث- العدالة الإنسانية ومحاربة الجوع والفقر والمرض: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:90]. وعن النبي: "من احتكر طعاماً أربعين ليلة فقد برئ من الله تعالى، وبرئ الله تعالى منه، وأيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى"².
- ج- الحفاظ على الكون واستبقاء تسخير: تقدم الحديث عن تسخير الله الكون لبني الإنسان، وقد ذم القرآن الكريم تخريب الكون وإفساده، وتوعد من يفعل ذلك بالعقاب: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:41].

¹ جمال الدين عطية: منظور إسلامي معاصر للعلاقات الدولية

<http://www.islamonline.net/Arabic/contemporary/02/2006/article03.shtml>

² أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تعقيب: شعيب الأرنؤوط (القاهرة، مؤسسة قرطبة، دون تاريخ) ج2، ص33.

8- كرة أرضية بلا قنابل ذرية:

يوجد الآن ما يقرب من (12760) قنبلة ذرية مخزونة في العالم الآن، تُعطي للبشر المقدرة على تدمير هذا الكوكب وتحطيمه (17) مرة في لحظات قليلة، بلهيب ذري يصل إلى (130) مليون درجة مئوية. كما أن هناك الآن (15) دولة تملك الأسلحة والقنابل الذرية. وإذا حسبنا كمية المخزون من الأسلحة الذرية في روسيا وأمريكا وإنجلترا وفرنسا والصين والهند... لأدركنا هول الدمار الذي تعدده كل دولة تجاه الأخرى. وتزداد الخطورة كون الحروب الحديثة ألغت المسافات بين الدول، وجعلت الكرة الأرضية قرية تدار بالكومبيوتر وأجهزة الريموت، والتحكم الإلكتروني. تقول إحصائية أن عدد سكان العالم من بدء الخليقة إلى الآن وصل إلى (40) بليون نسمة تقريباً، ثلثهم مات مقتولاً بحسب تقدير الخبراء¹ وتحتاج البشرية اليوم أن يجتمع عقلاؤها ليتخلصوا من مخزون الدمار الهائل الذي أنتجه البشر.

أما من منظور الإسلام فقد عظم القرآن من شأن جريمة قتل نفس بشرية واحدة بريئة: ﴿مَنْ أَجَلْ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعُدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمْسْرِفُونَ﴾ [المائدة:32]. وقد توعد القرآن الكريم الذين يهلكون الحرث والنسل، وتوعدهم بعذاب جهنم: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يُعْجَبُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمُهَادَّةُ﴾ [البقرة:204-206]. ويقول الرسول e: "من قتل عصفوراً عبثاً عجز إلى الله يوم القيامة، يقول: يا رب إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة"². وعن النبي e قال: بجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة، ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دماً، يقول يا رب هذا قتلني حتى يدينه من العرش. قال: فذكروا لابن عباس التوبة فتلا هذه الآية {ومن يقتل مؤمناً متعمداً} قال: ما نسخت هذه الآية ولا بدلت وأتى له التوبة³ فكيف بمن يحرق الأرض بما عليها.

¹ أفرايم فخري: مع أحداث العالم

<http://www.akhbarsarra.com/news.php?Id=1577>

² صحيح ابن حبان، مرجع سابق، ج13، ص214.

³ محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي: الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، منزلة بأحكام الألباني (دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ) ج5، ص240.

وفي ختام هذا المبحث نستشهد بكلام المفكر الدكتور محمد عمارة عن قضية الآخر، واتهام الإسلام بأنه يتخذ موقفاً معادياً، يقول: انظروا كيف كان ينظر الإسلام إلى الآخر وكيف نظر الآخر للإسلام؛ إذ لم يعترف أحدٌ بالآخر إلا بعد ظهور الإسلام، فقد رفضت النصرانية الاعتراف بالوثنية والعكس، فقال اليهود ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء، فلا يوجد هناك دين أو مذهب يعترف بالآخر، ولم تعرف مصر القديمة السماحة ولا الاعتراف بالآخر إلا مع ظهور الإسلام. وقد قال الليث بن سعد: "إن كنانس مصر كلَّها ظهرت في ظل الإسلام"، وكان عمرو بن العاص أول من أشرك النصارى في حكم مصر، حيث لم يحكمها أحد من أبنائها إلا بعد الإسلام. وقد فتح الإسلام في (80) عاماً أوسع ما فتح الرومان في (8) قرون، والفرق أن الرومان كانوا يقهرون من يحكمونهم، في حين الإسلام ترك الناس وما يدينون، فكان الإسلام يحكم الدولة، والمسلمون بها (20%) فقط من بين أهلها، وكان الآخرون لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، والسبيل أن يكون الولاء للدولة.

ويكمل د. عمارة: هذا موقف الإسلام من الآخر، أما موقف الآخر من الإسلام فواضح أمام الجميع؛ ففي ملحمة "زولاند" وهي ملحمة شعبية، تصور المسلمين على أنهم يعبدون ثالوثاً منه محمد، وأن أصنام محمد تصنع من أحجار كريمة وحجمها كذا وكذا، في حين قال مارتن لوثر زعيم البروتستانت: "أي كتاب بغيض وفظيخ وملعون هذا القرآن"، أما توما الإكويني أكبر فلاسفة النصرانية الكلاسيكية فقال: "لقد أغوى محمد الشعوب من خلال الوعود لها بالمتع الشهوية"، مما يشير إلى أن تشويه الدين الإسلامي ليس حديثاً بل له جذور ضاربة بعمق في التاريخ.¹

خامساً: مؤثرات (المعايشة) في الفكر الإسلامي المعاصر تجاه الآخر:

على الرغم من تلك المعاني النبيلة في الفكر الإسلامي تجاه الآخر، إلا أنه يُسمَع اليوم ببعض أفكار ومواقف (إسلامية) تجافي تلك الروح التي توصل إليها البحث، ويعزو الباحث هذا الانحراف الطارئ تجاه الآخر، إلى تأثر أصحاب هذا الفكر بما يعايشه المسلمون اليوم من اضطهاد نتيجة القيم والممارسات الاستعمارية الغربية.

يؤكد هذا المعنى ما نشرته بعض الصحف البريطانية، من مقالات عن أعمال العنف التي ترتكبها جماعات الاحتجاج السياسي، ذات الخطاب الديني في الشرق الأوسط، وتشير هذه المقالات إلى أن "قتل المدرسين والكتاب والصحفيين والفنانين" وكأنها أفعال إسلامية...، ويخرج محررو هذه الصحف

¹ محمد عمارة: للتشويه جذور

http://www.islamonline.net/arabic/in_Depth/mohamed/Morals/article02.shtml

باستنتاج، بأن هذه الأفعال تُعبّر عن مدى كراهية الأصوليين للقيم الغربية. وعلى الرغم من وجود شبه إجماع أكاديمي على أنه لا يوجد غرب واحد، أو ظاهرة إسلامية واحدة، إلا أن الخطاب الإعلامي عن الإسلاميين كان يجنح لاستخدام ثنائيات الإسلام والغرب.¹

ويمكن تسجيل أهم تأثيرات القيم الغربية في انحراف بعض الفكر الإسلامي المعاصر تجاه الآخر، على النحو الآتي:

1- تشويه المفهوم الغربي للآخر قديماً:

كان الرومان يعتقدون -بضمير مرتاح- أن الأمة المهزومة تفقد حقوقها بكل بساطة، لأن المنتصر يؤسس لعقيدة القوة عن طريق الانتصار، والمهزوم مهزوم لأنه فقد القوة، وتُختصر البشرية كلها في حذقة سفسطانية معتمدة على الاستدلال القائل: "أنا لست أنت وأنا لست الحمار، إذن أنت الحمار" كأنه لا يوجد في الدنيا إلا الأنا (أي الذات الغربي)، والآخر هو الحمار!. هذا على مستوى التاريخ الروماني أما التاريخ المسيحي فقد (ترومّن) بعد ذلك.

أما الفكر اليهودي، فالتوراة أو التلمود يتأسسان على إلغاء الآخر ورفضه: فنوح غضب على ابنه حام وجعله عبداً مع سلالته لابنه سام وسلالته، واليهود طينة غير طينة البشر، وأرواحهم جزء من الله، أما الجويم فأرواحهم شيطانية، وخلقوا من نطفة حسان، وإذا ضرب يهودي فكأنما ضربت العزة الإلهية، وجزاء ضاربه الموت، وقد خلق الله غير اليهود على هيئة إنسانية ليكونوا لائقين بخدمة اليهود، وأموال الجويم ودمائهم وأعراضهم حلال لليهودي، وانتهاكها قبيح لله، ولا يحرم على اليهودي الظلم إلا تجاه اليهود، لأنهم شعب الله المختار. أما الحاخام الأكبر لإسرائيل، لليهود الشرقيين، فقد طرح في الصلاة الرسمية التي تمر عبر وسائل الإعلام منذ مدة قصيرة بعد اندلاع الانتفاضة بأن الرب، قد أخطأ بأن خلق بني إسماعيل، ونحن سوف نصحح خطأ الرب بإبادتهم جميعاً. وهذه ليست حالة غضب كفر فيها حبر يهودي بالله، وإنما هو اعتقاد مؤصل لدى اليهود يسمى عقيدة "البداء"، وهي أن الرب يخطئ فيصح له الحاخامات.²

¹ أميمة عبد اللطيف: "الإسلام السياسي" في الصحف البريطانية.. نقيض كل ما هو غربي

<http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/qpolitic-jul-2000/qpolitic19.asp>

² المقرئ الإدريسي: موقف القرآن الكريم من العنف

<http://akhbar.khayma.com/article.php?sid=176>

2- عدم مصداقية قيم الحضارة الحديثة:

شواهد ازدواجية معايير قيم الحضارة الغربية الحديثة أكثر من أن تُحصى، تفضحه يومياً وسائل الإعلام بالتقارير المصورة، وموقف هذه الحضارة من الآخر يقوم على المصلحة وليس على الأخلاق! وهو أمر ليس طارئاً أو خارج سياق الفكر الغربي، بل هو عقيدة (مُقتنّة) في هذا الفكر؛ فـ"العلاقات الدولية لا تحكمها القيم الأخلاقية والقانونية، وإنما تحكمها قيم واقعية؛ المصلحة القومية والقوة".

يقول أستاذ العلاقات الدولية جوزيف فرانكل: "وفي تصدينا لحقوق الدول وواجباتها، وفي تحليل أجهزة المؤسسات الدولية نحن نستخدم في ذلك عبارات مقيسة على تلك التي تستخدم في البيئة السياسية الوطنية، ولنا حاجة إلى التنبيه على ما يكتنف هذا القياس من عيب، فالقانون الدولي كما يعرف رجال القانون ذو طبيعة خاصة، ومحاولة تطبيق القواعد الأخلاقية التي تحكم تصرفات الأفراد على تصرفات الدول محاولة فاشلة" ... "ولقد نبه كثير من مفكري القارة الأوروبية - ومنذ ميكافيلي - على ذلك التباين بين طبيعة البيئتين الداخلية والدولية" ... "والحرب بين العصابات تزودنا بمثل ذي دلالة، لأن العصابات شأنها في هذه الحالة شأن الدول فتفتقر إلى وجود أنظمة قانونية قابلة للتطبيق" ... "بل إن هناك ما يشبه العلاقات الدولية في السلوك الاجتماعي للحيوانات، وهذا السلوك هو موضوع بحث واهتمام علماء الحيوان اليوم، إن اعتبارات البقاء كضمان الطعام وحماية أماكن التماسل هي التي تحكم تجمعات الحيوانات، وكثيراً ما تتور نزاعات ضارية بين أبناء الفصيلة الواحدة حول الاستئثار بمنطقة ما وإبعاد الحيوانات الغربية التي تحاول دخولها".¹

عايش المسلمون أفراداً وجماعات وأنظمة، تطبيقات هذه المبادئ تدميراً لمدنهم، وحصاراً لشعوبهم، وتشويهاً لحضارتهم وتاريخهم، فقد تم تدمير العراق ومحاصرة إيران بشبهة أسلحة الدمار الشامل، في حين تتم حماية (إسرائيل) وتجاهل ما تملكه من أسلحة ذرية، واليوم يُطالب باعتقال رئيس دولة عربية بتهمة جرائم حرب، وتُعفى (إسرائيل) من المساءلة عن جرائمها كلها التي ارتكبتها -على الهواء مباشرة- في غزة!

3- ممارسات الولايات المتحدة تجاه الآخر:

إن الممارسة الأكثر سوءاً اليوم، وتأثيراً في ظهور ما يُعرف بـ(التطرف الإسلامي)، هو سياسة الولايات المتحدة الخارجية؛ حيث تنطلق ممارسات الولايات المتحدة تجاه الآخر مما يُسمى "العقيدة

¹ صالح بن عبد الرحمن الحصين: العلاقات الدولية بين منهج الإسلام والمنهج الحضاري المعاصر

<http://www.taiba.org/article-view.php?id=67>

التدخلية"، وقد عمد (لطفى حاتم) إلى تحليل السمات الجديدة للعقيدة التدخلية، استناداً إلى مرتكزات الاستراتيجية العسكرية الأمريكية (والتي تتمثل في وثيقة حلف الأطلسي المسماة "المفهوم الاستراتيجي للتحالف"، مضافاً إليها الرؤية الأمريكية) التي تتضمن المبادئ الآتية:

- الانتقال من فكرة الدفاع عن أراضي الولايات المتحدة الأمريكية، إلى موضوع الدفاع عن مصالحها خارج الحدود الوطنية. وبهذا السياق تمثل الضربة الاستباقية جوهر العقيدة الهجومية.
- حق استخدام القوة العسكرية خارج الأراضي الأمريكية .
- العمل على احتكار قوة ردع نووية، مترافقة مع مساع تبذلها الدبلوماسية الأمريكية لتفكيك المراكز النووية ومحاصرتها في البلدان الخارجة عن إطار التحالف الأطلسي .
- التدخل في إدارة الأزمات الإقليمية / الوطنية، والعمل على محاصرة الأنظمة (الاستبدادية).
- تدمير الملاذات الآمنة، وقيادة التحالفات الدولية المناهضة للإرهاب .

وعليه فإن المضامين الأساسية للعقيدة العسكرية الأمريكية، تؤكد أن الوظيفة الجديدة للجيش الأمريكية تستند إلى الدور الدولي التدخل، الذي تمارسه الولايات المتحدة خارج حدودها الوطنية. بمعنى آخر تقتين الوظيفة القمعية للإمبراطورية الإمبريالية، وجعلها مبدأ من مبادئ القانون الدولي.¹ ويؤكد هذا المعنى ما نقلته العربية على الشابكة (نت)، من قول لمحللين وخبراء غربيين، بأن الحرب التي تقودها أمريكا في العراق، ودعمها للعمليات العسكرية الإسرائيلية في لبنان، أسهمت في تغذية الشعور بالغضب لدى العالم الإسلامي.²

إلا أن هناك نوعاً آخر من العنف والانحراف في الفكر، تمارسه بعض الجماعات لا ينطبق عليه التحليل سابق الذكر، وهو عنف ليس موجهاً نحو الآخر بل هو موجه نحو الذات، وهم الذين يقصدون بالعنف بلدانهم وإخوانهم المسلمين.

وسبب هذا الانحراف حسب رؤية محمد حسين فضل الله، أن مشكلة هؤلاء التكفيريين (حسب تسميته)، هي أنهم خضعوا لثقافة متخلفة في فهم النصوص، مما أدى بهم إلى ملاحقة بعض الجزئيات في المسائل الإسلامية؛ على مستوى المفاهيم وغيرها، الأمر الذي جعل مسألة تكفير

¹ لطفى حاتم: العقيدة التدخلية وتطور العلاقات الدولية

<http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=32867>

² العربية الشابكة (نت): قالوا إن دعم أمريكا لإسرائيل يثير الغضب لدى المسلمين

<http://www.alarabiya.net/Articles/2006/08/25/26898.htm>

المسلمين تُواجه بطريقة ساذجة ومتخلفة، فهم إذا صحَّ حديث عندهم عن الرسول، ولم يصح عند غيرهم، فإنهم يعدّون الآخرين مخالفين للرسول، وبناءً عليه، فهم كفرة بزعمهم ويجوز قتلهم... وكذلك حين يرى الكثير من الفقهاء أن الحرب هي التي تبرر قتل الكافر وليس كفره، فإن هؤلاء يعدّون الكفر مبرراً شرعياً كافياً لقتل من يعتقدونه كافرين، وعلى ضوء هذا، استحلوا دماء المسلمين من السنة والشيعه¹.

وفي كل الأحوال فإن الانحراف في العلاقة مع الآخر، أو مع الذات هو انحراف طارئ وشاذ في الفكر الإسلامي وعلاقته بالآخر، يخالف ما هو مشهور من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وفهم المسلمين وتاريخهم على مر القرون.

سادساً: النتائج والتوصيات:

أ- النتائج

من خلال هذه الدراسة توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

1. تعدُّ التربية العامل الأهم في تكوين شخصية الإنسان والتحكم في سلوكه.
2. يفيد الواقع أنه لا مجال لأحد للانعزال اليوم، فقد تداخلت المصالح والقيم والثقافات، وتقاربت المسافات بين بني البشر، ولذا فإن الأمر اليوم يتطلب نظرة جديدة إلى التربية (أنسنة التربية) تفي بمتطلبات الواقع الجديد (العولمة).
3. لا تعني "أنسنة التربية" إطلاقاً إلغاء الأبعاد الفردية للتربية بمكوناتها الفسيفسائية، وهي ليست خصماً على انتماء الإنسان لمجتمعه أو وطنه أو دينه أو عرقه، وهي ليست ضد مصالحه الفردية. فـ"أنسنة التربية" ليست حملة فكرية طوباوية تدعو إلى إذابة الفرد في الجماعة أو إذابة الدولة القطرية في العالم، وإنما هي توسيع وإعادة ترتيب لمجالات التربية المعروفة لتسمح بالتجانس والتآلف والانسجام، وسهولة الحركة بين دوائر أربع؛ الفرد - الجماعة - المجتمع - الإنسانية، بما يُكسب الفرد القدرة على التعامل الإيجابي البناء مع الآخرين، وإقامة ثقافة مشتركة، والاستفادة المتبادلة .

¹ محمد حسين فضل الله: حركة التكفير تشويبه بصورة الإسلام

<http://arabic.bayynat.org.lb/nachatat/albaya28042005.htm>

4. تقوم العلاقات الدولية اليوم على المصلحة الوطنية وعلى القوة، وليس على الحق والعدل والحوار والتعايش، مما يسهم في زيادة النزاعات والحروب، ويعمل على تأكيد شقاء إنسان القرن الحادي والعشرين.
5. تصلح نظرة الإسلام الإيجابية إلى الآخر، لأن تكون أساساً دولياً في العلاقة بين الشعوب والأجناس.
6. تتمثل نظرة الإسلام إلى الآخر في: وحدة المنشأ لبني البشر، وحدة الهدف والتكليف، عموم رسالة الإسلام، وحدة الديانات السماوية، قبول التنوع العرقي والديني، تكريم الجنس البشري، ووحدة المصير للإنسان.
7. تقود نظرة الإسلام إلى الآخر إلى علاقات دولية تقوم على الأسس الآتية: العدل للجميع، التحلل من الشعور بالوصاية على الآخرين، الاحترام المتبادل للرأي، حفظ رعايا المتقاتلين، عقد التحالفات التي تعزز السلم وحقوق الإنسان، التنافس في الخيرات، ترسيخ قانون دولي، وكرة أرضية بلا قنابل نارية.
8. أدت نظرة الغرب الإقصائية إلى الآخر، وما رافقها من مساندة للعدوان (الإسرائيلي)، وكذلك التدخل السلبي للولايات المتحدة في شؤون بلدان العالم الإسلامي، والجرائم التي ارتكبت في حق المسلمين، أدت إلى نشوء تيار فكري -متمثل بجماعات- لدى المسلمين يتجاوز في ردة فعله توجيهات الإسلام في شأن القتال والتعامل مع الآخر.
9. يتحمل الغرب والولايات المتحدة على وجه الخصوص، الجزء الأكبر من المسؤولية عن الانحراف الفكري (بما يسمى الإرهاب الإسلامي)، الذي أصاب هذه الجماعات، فقد تماهى خطابها الفكري والأيدولوجي مع خطاب اليمين المتطرف والمحافظين الجدد، أكثر مما يتماهى مع خطاب أبي بكر الصديق وابن تيمية.
10. امتد انحراف بعض (الجماعات الإسلامية) ليشمل التعامل مع الذات، ففضت بتكفير مسلمين، واستباححت دم من لا يستباح دمه.

ب - التوصيات :

1. التطوير الدائم للمناهج العربية والإسلامية، بما يتماشى وروح العصر سواء من ناحية الأهداف أو الأساليب، وذلك وفقاً لهوية الأمة وفلسفتها وثقافتها وحاجات المجتمع وظروفه، والحذر من تخريب المناهج بدعوى التطوير والملاءمة.

2. عدم اقتصار معالجة قضية (التطرف والإرهاب) على الجانب الأمني، بل من خلال تجفيف منابعه الفكرية، وذلك بتعميق دراسة الدين في المدارس، وإثارة الوعي والتدين الصحيح بالوسائل التربوية كلها، إذ إنَّ التدين جزء من فطرة الإنسان، وإذا لم يلبَّ بطريقة صحيحة لُبي بطريقة منحرفة (الطبيعة لا تقبل الفراغ).
3. التآلف بين حكومات الدول العربية والإسلامية وشعوبها، وتطبيع العلاقة مع الحركات الإسلامية، واعتماد مبدأ الحوار في الصُّعد كلها، ولاسيما في الشأن الداخلي.
4. تقديم الإسلام للعالم في شكله الحقيقي - فهو جميل - بعيداً عن التطرف والتزلف.
5. المطالبة والتنظير لإقامة نظام عالمي جديد، وعلاقات دولية تقوم على الاعتراف بالآخر بدل الإقصاء، والاحترام بدل الاستعلاء، والعدل والإحسان بدل المصلحة والاستغلال، والحوار والقانون بدل القوة والإكراه... فهذا تتحقق مصلحة الجميع وفي مقدمتهم الدول الغنية والقوية.

المراجع

أ- المصادر

1. القرآن الكريم
2. ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى.
3. أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تعقيب: شعيب الأرنؤوط، القاهرة، مؤسسة قرطبة، دون تاريخ.
4. أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية: الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني ومحمد كبير أحمد شودري، بيروت، دار ابن حزم، 1417هـ.
5. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، بيروت، دار المعرفة، 1379.
6. إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) دون ناشر، دون تاريخ.
7. الحسين بن مسعود الفراء البغوي: معالم التنزيل، (تفسير البغوي) دون ناشر، دون تاريخ.
8. عبد السلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، دون ناشر، دون تاريخ.
9. مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي: موطأ الإمام مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مصر، دار إحياء التراث العربي، دون تاريخ.
10. محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) بدون ناشر، دون تاريخ.
11. محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) بدون ناشر، دون تاريخ.
12. محمد بن حبان: صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1993.
13. محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي: الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، مذيلة بأحكام الألباني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.
14. مرتضى الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، دون تاريخ.

ب - الكتب والدوريات

1. خير: "مشروع الجينوم ينهي أسطورة العرق" الأيام، عدد: 1623، ت: 2000/6/27، رام الله.
2. روبرت كوبر: تحطم الأمم، ترجمة: زهير السمهوري، السعودية، مكتبة العبيكان، 2005.
3. عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دمشق، دار الفكر، 1979.
4. مجدي عمر: التغيرات في النظام الدولي وأثرها في منطقة الشرق الأوسط، عمان، مركز دراسات الشرق الأوسط، 1995.
5. مختار محمد: قراءة في كتاب خارج حدود السيطرة (قضايا دولية، عدد: 223، ابريل 1994، إسلام إباد - الباكستان) ص 26-27.

ج - المواقع الإلكترونية

1. إبراهيم البيومي غانم: المبادئ العامة للنظرية الإسلامية في العلاقات الدولية
<http://www.islamonline.net/Arabic/contemporary/politics/2006/06/02.shtml>
2. أفرام فخري: مع أحداث العالم
<http://www.akhbarsarra.com/news.php?Id=1577>
3. العربية الشابة (نت): قالوا إن دعم أمريكا لإسرائيل يثير الغضب لدى المسلمين
<http://www.alarabiya.net/Articles/2006/08/25/26898.htm>
4. المقرئ الإدريسي: موقف القرآن الكريم من العنف
<http://akhbar.khayma.com/article.php?sid=176>
5. أميمة عبد اللطيف: "الإسلام السياسي" في الصحف البريطانية.. نقبض كل ما هو غربي
<http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/qpolitic-jul-2000/qpolitic19.asp>
6. جريدة الصباح: مفهوم السياسة الخارجية
<http://www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&sid=28986>
7. جمال الدين عطية: منظور إسلامي معاصر للعلاقات الدولية
<http://www.islamonline.net/Arabic/contemporary/02/2006/article03.shtml>
8. خالد أبو أحمد: الآخر في العقيدة الإسلامية والثقافة العربية
<http://www.sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=7&msg=1108824655>
9. زكي الصدير: محمد أركون ومعارك الأئنة

- <http://www.doroob.com/?p=4689>
10. زين العابدين الركابي: عقيدة تدمير العالم.. كمقدمة ضرورية لمجيء المسيح
<http://www.aawsat.com/leader.asp?section=3&article=376497&issue=10112>
11. صالح النملة: العلاقات الدولية تاريخ من الاستعداد للحرب
<http://www.alriyadh.com/30/05/2006/article158893.html>
12. صالح بن عبد الرحمن الحصين: العلاقات الدولية بين منهج الإسلام والمنهج الحضاري المعاصر
<http://www.taiba.org/article-view.php?id=67>
13. علي عبد المنعم: مناهضة العولمة.. يوتيبيا شعب سياتل
<http://www.islamonline.net/arabic/arts/2002/10/article08.shtml>
14. لطفي حاتم: العقيدة التدخلية وتطور العلاقات الدولية
<http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=32867>
15. محمد حسين فضل الله: حركة التكفير تشويهه لصورة الإسلام
<http://arabic.bayynat.org.lb/nachatat/albaya28042005.htm>
16. محمد عمارة: للتشويه جذور
http://www.islamonline.net/arabic/in_Depth/mohamed/Morals/article02.shtml
17. منير شفيق: الفكر العلماني وصياغة العلاقات بين البشر بصورة إنسانية
<http://www.islamonline.net/Arabic/contemporary/arts/2001/article6-1.shtml>
18. نادية محمود مصطفى: ما هي العلاقات الدولية؟!
<http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/mafahem-Aug-2000/mafahem-2.asp>
19. ندره البيازجي: وثيقة واجبات الإنسان
http://maaber.50megs.com/first_issue/perennial_ethics_1.htm
20. يسري هاني: رحمة للعالمين
http://www.islamonline.net/arabic/in_Depth/mohamed/Morals/article02.shtml